

خطبه الجمعة - الخطبة ١٨٣ : خ ١ - الصديق ١ ، خ ٢ - الحس في الحريق في الجلد .
لضيالة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٧-١٠-٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كانا لنهندي لو لا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توکلي إلا على الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً بمن جد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذنُ بخبر اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ، ومن ولاه ، ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم اغفر ذنبنا ، واستر عيوبنا ، واقبل توبتنا ، وفك أسرنا ، وأحسن خلاصنا ، وبلغنا مما يرضيك آمالنا ، واختم بالصالحات أعمالنا .

الصديق :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ في حياة كل منا صديق ، قد يكون قريباً ، وقد يكون جاراً ، وقد يكون زميلاً ، هذا الصديق ، قد يكون أثره إيجابياً ، وقد يكون أثره سلبياً .

موضوع الصديق ، وعلاقة الصديق بصديقه موضوع خطير ، يتعلق بأمر الدين ، فإذا كان الصاحب صادقاً وصالحاً فادك إلى الحق والخير ، وإذا كان هذا الصاحب ، وذاك الصديق سيناً ومنحرفاً فادك إلى الشر ، لذلك تعد علاقات الصدقة علاقات ذات أثر خطير في علاقة الإنسان بربه ، فإما أن تمن هذه العلاقة ، وإما أن تضعفها ، إما أن ترسخ قيم الدين ، وإما أن تقوضها ، إما أن يعينك على طاعة الله ، وإما أن يحملك على معصيته ، إما أن يزين لك الآخرة فتسعى إليها ، وإما أن يزين لك الدنيا فتغمض فيها شأن الصديق شأن خطير ، ربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَى الْمُتَّقِينَ﴾

[سورة الزخرف الآية : ٦٧]

إذا كانت هذه الخلة بنيت على محبة الله عز وجل ، وعلى النصح له ، كانت هذه الخلة سبباً لفوز الأخلاء يوم القيمة .

﴿إِلَى الْمُتَّقِينَ﴾

المؤمنون كما قيل : بعضهم لبعض نصحة متوادون ولو ابتعدت منازلهم ، والمنافقون بعضهم لبعض غشية متحاسدون ولو اقتربت منازلهم .

موضوع الصداقة ؛ هذه العلاقات الحميمة ، مع من تجلس ، من تصاحب ، مع من تسمر ، مع من تتنزه ، مع من تسهر ، من تدعوك إلى طعامك ، من يدعوك إلى طعامه ، هذه العلاقات الحميمة ، هذه العلاقات المبنية على أساس الصلة الاجتماعية ، علاقات إما أن تكون سبباً إلى الجنة ونعمتها ، إما أن تكون سبباً إلى النار وجحيمها .

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَى الْمُتَقْنِينَ﴾

[سورة الزخرف الآية : ٦٧]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ الإسلام يدعو إلى الألفة ، يدعو إلى الاجتماع ، يدعو إلى التعاون ، الإسلام ذو طابع اجتماعي ، لا خير بالذي ينعزل عن الناس ، هذا الذي يتبع ربه في صومعة ، هارباً من المجتمع لا يرقى منزلة علياً عند الله عز وجل ، يقول عليه الصلاة والسلام : ((المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم ، خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم))

[رواية الترمذى]

أن تكون مع الناس ، في أفرادهم ، وفي أترابهم ، ومعهم في مشكلاتهم ، ترشدهم إلى الخير ، تأمرهم بالمعرفة ، تتهامهم عن المنكر تتصحهم ، أنت أرقى من الذي هرب من المجتمع ، وتتوقع في بيته ، وانسحب من الحياة ، وعاش على هامش الحياة ، الإسلام دين الألفة ، ودين اجتماع ، ودين تضحية ، ودين مأثره ، إلا أنك إذا رأيت ، وتيقنت ، وغلب على ظنك أن هذا اللقاء قد يفسد دينك ، أن هذه العلاقة قد تطيح بك إلى النار ، أن هذا الاجتماع قد يتسبب عنه معصية ، عندئذ يأتي البعض عن الناس كفرضه يفرضه الدين ، إذا استطعت أن تصلحهم يجب أن تكون معهم ، فإذا كنت لا تملك إصلاحهم لا بالقول ، ولا بالعمل ، بل ربما كان الخطر من اللقاء خطراً مدمراً فال الأولى أن تبتعد عنهم سلامة لدينك وأخرتك .

أيها الإخوة ؛ سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، عن العباس وابنه ، أخبر عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ، ولكنه لا يحضر الجمعة ، ولا الجماعات فقال : خبره أنه في النار ، من لم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم .

أيها الإخوة ؛ من حكم الإسلام الرفيعة ، أن أكثر عباداته تؤدي جماعة ، فالصلاة الأولى أن تؤدي في المسجد ، في جماعة ، وفضل صلاة الجماعة على صلاة المفرد بسبعين وعشرين درجة. الصيام يؤدى في شهر واحد ، الحج عبادة روحية مكانية زمانية تؤدى في وقت واحد ومكان واحد ، لعلا حكمة الإسلام الرفيعة أن هذا اللقاء يجعل من المسلم أخي للمسلم ، لعلا هذا اللقاء يعين على أداء هذه الفريضة ، أو لعلا هذا اللقاء يوحى بالصفاء ، يوحى بالمحبة ، يوحى بالألفة ، يوحى بشعور الجماعة ، يوحى بأنك واحد من مجموع ، يجب أن يعنيك ما يعنيهم يجب أن يؤلمك ما يؤلمهم ، يجب أن يفرحك ما يفرجهم ، يجب أن تتفقد إخوانك ، لا ينبغي أن تنتظر الناس كي

يسألك ، ليس هذا من أخلاق المؤمن يجب أن تبادر أنت للبحث عن أحوالهم ، لعلا هذا اللقاء في المسجد لعلا اللقاء في الحج ، لعلا اللقاء في صلاة الجمعة ، لعلا اللقاء في الصلوات الخمس ، يعين المسلمين على أداء فرائضهم ، لعله يشيع فيهم المحبة ، الألفة ، من هنا كانت حكمة العبادات في الإسلام أن معظمها يؤدى جماعة ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((صلاة الرجل مع الرجل أزكي من صلاته لوحده ، وصلاته مع الرجلين أزكي من صلاته مع الرجل ، وكلما كثر فهو أحب إلى الله تعالى))

[أخرجه أبي داود عن أبي بن كعب]

في حديث آخر :

عن قبات بن أشيم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((صلاة الرجلين يوم أحدهما صاحبه أزكي عند الله من صلاة أربعة تترى – فرادى يعني – وصلاة أربعة يوم أحدهم أزكي عند الله من صلاة ثمانية تترى – صلاة أربعة مجتمعين أزكي عند الله من صلاة ثمانية تترى – وصلاة ثمانية يوم أحدهم أزكي عند الله من مائة تترى))

[رواه البزار والطبراني في الكبير ورجال الطبراني موثوقون]

الإسلام يدعو إلى الألفة ، يدعو إلى التعاون ، يدعو إلى المحبة .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ كل اعتزال عن المجتمع يفوت الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، أو يضعف جانب الدفاع عن الدين ، إنما يقترب صاحبه إثماً كبيراً بعد عن المجتمع ، بحيث يفوت الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر والدفاع عن الدين ، إنما هو بعد يكسب صاحبه إثماً كبيراً ، ومع ذلك فطبع الناس متباينة ، قال عليه الصلاة والسلام :

((يطبع المؤمن على الخال كلها إلا الكذب والخيانة))

[أخرجه أحمد عن أبي أمامة]

قد تجد المؤمن اجتماعياً بطبعه ، وقد تجد مؤمناً آخر أميل إلى العزلة ، قد تجد مؤمناً منفتحاً على الآخرين ، وقد تجد مؤمناً منطويًا على نفسه ، النبي عليه الصلاة والسلام يأمر هذا المنفتح يقول له :

((خالط الناس ، ودينك لا تكلمنه))

[أخرجه البخاري عن ابن مسعود]

إياك أن تكون هذه المخالطة على حساب دينك إياك أن تكون على حساب مبادئك ، إياك أن تكون على حساب قيمك ، ويقول لهذا المؤمن المنطوي على نفسه :

((المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف))

[رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح عن أبي هريرة]

يجب أن نوجه المنطوي على نفسه ، إلى أن من صفات ، من كمال الإيمان أن تكون تألف وتؤلف ، وأن هذا المنفتح على الناس يجب أن نهمس في أذنه إياك أن يكون افتتاحك سبباً لضياع دينك ، سبباً لنقصيرك في أمر دينك .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ يجب أن تعلم بالضبط متى يجب أن تختلف الناس ، ومتى يجب أن تعترلهم ، قال بعض العلماء : إذا ملكت وسائل تقويمهم وإصلاحهم ، إذا كنت ممكناً من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإصلاح ذات البين فعليك أن تجتمع بهم ، وأن تختلط معهم ، لأن في هذا صلاحاً لك ولهم على حد سواء ، أما إذا كنت لا تملك وسيلة للأمر بالمعروف ، ولا النهي عن المنكر ، ولا يسمع لقولك ، ولا تلقى أذن لنصيحة ، بل ربما كان هذا اللقاء سبب في الهزء بدينك ، وضياع كرامتك ، لا ينبغي أن تختلط هؤلاء ، البعض عن هؤلاء غنية كما يقال .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ سئل النبي عليه الصلاة والسلام :

((أي الناس أفضل ؟ قال : مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، قال : ثم من ؟ قال :

مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره))

[متّفقٌ عَلَى عَنْ أَبِي سعيد الْخُدْرِي]

إما أن تجاهد بنفسك ومالك وإما أن تعترل المجتمع الذي لا يقبل النصيحة .
إذا رأيت شحّاً مطاعاً ، وهو متبّع ، وإعجاضاً كل ذي رأيٍ برأيه فأمسك لسانك ، والزم بيتك ،
وخذ ما تعرف ، ودع ما تذكر ، وعليك بخاصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة .
أيها الإخوة المؤمنون ؛ أساس أية صداقة ، أساس أية علاقة حميّة ، أساس أية مودة أحد أمرين
، إما أن تكون الدنيا ، أو المصلحة ، أو المكاسب ، وإما أن تكون المبادئ والقيم ، جميع أنواع
الصداقات التي تبني على المصالح وعلى المنافع ، وعلى المكاسب ، وعلى الأطماع ، إنما هي
صداقات زائلة لا قيمة لها عند الله ، مؤقتة بالمصلحة ، فإذا تلاشت المصلحة تلاشت الصدقة .
أيها الإخوة المؤمنون ؛ قد تنشأ علاقة بين رجلين ، لمصلحة بينهما ، أو لطعم أحدهما بالأخر ،
أو لخوف بينهما ، إن هذه العلاقة طارئة لا تدوم ، ولا تسعده ، ولا يباركها الله عز وجل ،
ولكن العلاقة بين المؤمنين القائمة على المحبة في الله ، وعلى النصح لله ، هذه العلاقة بين
المؤمنين علاقة مقدسة بل هي أسمى علاقة على وجه الأرض .

يقول عليه الصلاة والسلام :

((إنَّ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ لَأَنَا سَأَمَا هُمْ بِأَنْبِيَاءٍ ، وَلَا شَهِداءٍ ، يَغْبَطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشَّهِداءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ خَبَرْنَا مِنْهُمْ ؟ قَالَ : هُمْ قَوْمٌ تَحَبُّوْنَ بِرُوحِ اللَّهِ ،
عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطُونَهَا – لَا فِي قِرَابَةٍ وَلَا فِي مَصَالِحٍ – فَوَاللَّهِ إِنَّ
وَجْهَهُمْ لَنُورٌ ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ
وَقَرَا هَذِهِ الْآيَةَ : " أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ))

[أخرجه أبو داود عن عمر بن الخطاب]

عليكم بعلاقة من هذا النوع ، علاقة خالصة ، لا تشوبها مصلحة ، وليس بدافع من قرابة ،
علاقة لا يت天涯ي صاحبها إلا وجه الله عز وجل .

أيتها الإخوة المؤمنون ؛ العلماء وضعوا مقياساً دقيقاً لهذه العلاقة ، قد تدعى ، قد يزعم واحد من الناس ، أنه يحب فلان في الله ، لا يحبه إلا الله ، الزعم كثير ، ما مقياس هذا الزعم ، قالوا يجب أن يكون الذي يدعى ذلك ، يجب أن يكون صالحاً ، مؤمناً ، مستقيماً ، معروفاً بالصالح بين الناس ، معروفاً بإيمانه لا علاقة على أساس المعرفة بالله ، قبل معرفة الله .

أيتها الإخوة الأكارم ؛ يقول عليه الصلاة والسلام :

((ثلث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان وطعمه : أن يكون الله عز وجل ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب في الله وأن يبغض في الله ، وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئاً))

[أخرجه النسائي عن أنس بن مالك]

أن يلقى في النار أحب إليه من أن يشرك ، هذه علامة الإيمان يقول عليه الصلاة والسلام :

((ما من رجلين تحابا في الله بظاهر الغيب إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه))

[أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء]

علاقة رياضية الذي يحب صاحبه أكثر هو الأحب عند الله ، هو الأقرب لله ، هو الأعلى درجة عند الله عز وجل ، يقول الله عز وجل في الحديث القديسي :

((وجبت محبتي للمتحابين في ، والمتجالسين في ، والمتزاورين في والمتباذلين في))

[حديث صحيح رواه مالك في الموطأ ببساطه الصحيح]

وقال تعالى أيضاً :

((المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء))

[أخرجه الترمذى عن معاذ]

أيتها الإخوة المؤمنون ؛ مع أن هذه المحبة ، ومع أن هذه الصداقة مقدسة عند الله ، لأنها بنيت على طاعة الله ، وكان الدافع لها حب الله عز وجل ، قد تقسى هذه العلاقة بسبب أن أحد الطرفين وقع في المعصية ، ما موقف الطرف الآخر إليكم هذه القصة التي رويناها عن سيدنا عمر رضي الله عنه :

كان رجل من أهل الشام ذو بأس ومكان ، يفدى إلى عمر رضي الله عنه ، فتفقده عمر ذات يوم فقال ما فعل فلان ابن فلان فقالوا يا أمير المؤمنين تتبع في الشراب ، أبتلي بشرب الخمر ، فدعا عمر كتابه ، فقال أكتب من عمر بن الخطاب ، إلى فلان ابن فلان ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله عز وجل ، الذي لا إله إلا هو ، غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذي الطول ، لا إله إلا هو إليه المصير ، ثم قال لأصحابه ادعوا لأخيكم ، أن يقبل بقلبه ، ويتوسل الله عليه ، فلما بلغ الرجل كتاب عمر جعل يقرأه ، ويرددده ويقول غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب قد حذرني عقوبته ، ووعدني أن يغفر لي ، فلم يزل يرددتها على نفسه حتى بكى ، ثم نزع وتاب إلى الله ، فلما بلغ عمر خبره قال : هكذا تصنعوا هكذا ، إذارأيتم أخ لكم زلزلة ، فسددوه ،

ووثقه ، وادعوا الله أن يتوب عليه ، ولا تكون عوناً للشيطان عليه ، كونوا عوناً له على الشيطان ، ولا تكونوا عوناً للشيطان عليه .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلأننا حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هوها وتمنى على الله الأماني .

والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد صاحب الخلق العظيم ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحابه أجمعين .

حساسية الجلد :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ يقول الله عز وجل :
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلَنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾

[سورة النساء الآية : ٥٦]

دقوا في هذه العلاقة :

﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلَنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾

كأن هذه الآية تشير إلى أن موقع الإحساس بالألم ، وألم الحرير بالذات موجودة في الجلد ، فمن أجل أن يذوقوا العذاب .

﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلَنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾

العلماء قالوا : الجلد مؤلف من طبقتين ، طبقة أسمها البشرة ، وهذه البشرة تزداد سمك أو رقة بحسب موقعها في الجسم ، وبحسب الاحتكاك وبحسب البيئة ، وهذه الطبقة نفسها مؤلفة من ثلاثة طبقات ، طبقة علية خارجية ، ووسطى ، وسفلى ، وفي الجلد طبقة ثانية ، أسمها الأدمة هذه الطبقة فيها العجب العجاب ، هي مؤلفة من نسيج ضام ، فيها شعريات دموية ، ونهائيات عصبية ، وعدد تفرز الدهون ، وعدد عرقية ، ومنطقة دهنية تحت هذه الأدمة ، الأدمة هي الطبقة الفعالة في الجلد .

فالغدة الدرقية : تزيد نشاطها الخلوي ، وبازدياد نشاطها الخلوي تزيد من الحرارة الناتجة عن هذا النشاط فيفقد الإنسان بعض هذه الحرارة عن طريق الإشعاع الحراري ، وبهذا يتكيف الجسم مع الجو الحار ، إذا كان الإنسان في جو حار فإن الغدة الدرقية تبعث بهرمونات إلى الخلايا

فترزيد من نشاطها ، ومن ازدياد نشاطها ، تزيد كمية الحرارة التي تشعها هذه الخلايا ، وبهذا يتکيف الجسم مع الجو الحار .

شيء أغرب من الخيال ، الإنسان إذا وجد في جو درجته الأربعين مئوية ، ما الذي يحصل في جسده قال بعض العلماء : إن هناك مئتين ألف جسيم منتشر في أنحاء الجلد ، فإذا ارتفعت الحرارة في الجو المحيط عن الحد المعقول أرسلت هذه الجسيمات إشارات عصبية تنقلها الألياف العصبية إلى المخ ، والمخ يصدر أمراً بتوسيع الشريانات الدقيقة في كل أنحاء الجسم ، فإذا ارتفعت حرارة الجو يتورد الإنسان ، يميل لونه إلى الحمرة يصبح أزهراً اللون .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم صن وجوهنا باليسار ولا تبذلها بالإقتار ، فنسأله شر خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ، وذم من منع ، وأنت من فوقهم ولهم العطاء ، وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء .

اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت ، واصرف عنا شر الأعمال لا يصرفها عنا إلا أنت .

والحمد لله رب العالمين